الثورة
الخميس 2 ذو الحجه 1433هـ 18 أكتوبر 2012م العدد (17501)

في حوار يحكي قصة الصحفي المحارب في اليمن الأستاذ مكرم محمد أحمد لـ(الثورة):

حُكم عليَّ بالإعدام من قبل القائد الـ

- حوصرت مع الجيش المصري في العرقوب شرق صنعاء، واستضافني الغادر الذي كان يحارب الجمهوريين..
- كتيبة سند المحاصرة في المحور الشرقي كانت وراء تواتر الحملات المصرية إلى اليمن حتى وصل عدد القوات إلى ١٤٠ ألف جندي مصري
- كانت علاقاتي جيدة بالقيادات المدنية كالنعمان والارياني والزبيري والعسكرية كالسلال وغيره ولهذا دخلت في خلاف مع القيادة المصرية في اليمن

- حضرت معارك حصار السبعين وكان صمود صنعاء عامل الحسم الأهم في آخر المعارك التي دارت في منطقة النعامي على مشارف صنعاء - خط الحديدة

في حوار لم يكن مخططاً له، أو معداً له مُسبقاً سوى قراءات مستعجلة في سطور مضيئة عن حياة ضيفنا في هذا اللقاء.. كانت الصدفة هي بوصلتنا التحرك في هذه المرة في القاهرة(أثناء مشاركتنا في البرنامج الخامس لدبلوم الإعلام والاتصال والتسويق الكشفي- الذي أقامته المنظمة الكشفية العربية بالتعاون مع معهد الأهرام الإقليمي للصحافة)، ففي نقاش مستفيض مع الدكتور حسن أبو طالب - مدير معهد الأهرام الإقليمي للصحافة، الذي عاش في صنعاء فترة هامة من الزمن ، دلني في سياق النقاش إلى أكثر الشخصيات المصرية خبرة بالطبيعة والبشر والسلم والحرب، في اليمن منذ اندلاع ثورة السادس والعشرين من سبتمبر، وشخصية إعلامية فذة، وريادي إعلامي من الطراز المحارب، خذيرته المعلومة وسلاحه القلم وغايته إنسانية لا سلطة فيها إلا للحقيقة.

حاوراه في القاهرة /
محمدمحمد إبراهيم - وأحمد الكبسي

إنه الصحفي المحارب الأستاذ/ مكرم محمد أحمد، نقيب الصحفيين المصريين، أمين عام اتحاد الصحفيين العرب، في عام١٩٥٨م دخل مؤسسة الأهرام أعرق الصحف في الشرق الأوسط تأسست قبل ١٣٧ عاما .. وعمد طموحه بأن اتجه نحو ساحات المعارك لنقل الحقيقة من موقع الحدث.

قبل الذهاب إليه استقرأت والزميل أحمد عبدالله الكبسي، ملامح ماضي اليمن لعلنا نصل إلى نقطة بداية لحوار صحفي استثنائي مع شخصية خبرت طبيعة اليمن وألف عن حروبها وسلمها ونسيجها «السياسي والقبلي»، أهم كتابين عن حصار السبعين وثورة في شبه الجزيرة –شخصية تحمل تعريفاً مدركاً ومستقراً لمعطيات فرادتها ، كأرض عرفت باليمن السعيد، وبلاد الأقيال (الشيوخ) الذين تجمعهم الخريطة ، والنخوة ، والكرم ، وتفرقهم المصلحة والسلطة والسياسة ، فكان التسلسل الزمني هو يتصدر الخيارات لنبدأ به حوارنا مع ضيف صحيفة الثورة لتكون مسيرة العمل الصحفي العسكري والاجتماعي في اليمن بعد ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ودخول القوات المصرية ، هي بداية حوارنا مع الصحفي المحارب الاستاذ مكرم محمد أحمد –أمين عام اتحاد الصحفيين العرب.. فإلى ما دار في الحوار.

● لنبدأ من استعادة ظروف دخولكم إلى اليمن؟

– بداية أود الإشارة إلى أني اعتبر اليمن هي الموطن الذي أحمل له أعز ذكرياتي، لأن مهمتي في اليمن كانت ناجحة ، وأجزم أن جزءاً كبيراً من نجاحي المهني كان في هذه الفترة ،وأتذكر أني ذهبت إلى اليمن في بدايات الثورة، ولم أكن أتصور أنني سأبقى في اليمن خلال هذه الفترة الطويلة وكانت مهمتي أن أتابع أوضاع القوات المصرية على كافة المحاور المختلفة، وأتابع الحركة السياسية الموجودة في اليمن حينها..

● هل تتذكرون بالتحديد التاريخ الذي دخلتم فيه اليمن؟

بعد الثورة بـ(٦) أشهر بالضبط، وكان ذهابي إلى صنعاء في إطار مهمة إعلامية كمحرر صحفي عسكري، ولكن طلب مني أن أبقى مراسلا للأهرام في اليمن.. وعلى هذا الأساس بدأت أتحرك في المحاور العسكرية المختلفة التي تتوزع عليها القوات المصرية والقوات اليمنية من القبائل والقيادات العسكرية التي دخلت في النظام الجمهوري..

● ماذا تتذكرون من زياراتكم للمحاور العسكرية أثناء الصراعات بين الجمهورية والملكيين!؟

في تلك الأثناء ومنذ دخولي اليمن مع الكتائب الأولى للقوات المصرية ،زرت الكثير من المحاور العسكرية والمواقع القتالية، وكان من أهم المحاور بالنسبة لنا، هو محور «جحانة–رأس العرقوب» حيث كانت كتيبة سند أولى كتائب القوات المصرية في اليمن محاصرة في منطقة تدعى بـ«بئر الشيخ صالح» من قبل الملكيين الذين يمثلهم ناجي بن علي الغادر وجماعته في المنطقة الشرقية، وأذكر أنني ذهبت إلى هذه المنطقة، وحضرت المفاوضات التي جرت ما بين ناجي بن علي الغادر في جبل (الطلوع)، وما بين قادة الجيش المصري، من أجل أن يفك الغادر الحصار عن قواتنا، ودار الحوار في ظل بقايا قلعة قديمة، وكان الشيخ حمود الطلوع في هذه الفترة هو الوسيط ما بين الملكيين الذين كان يمثلهم ناجي بن علي الغادر وما بين القوات المصرية ، وكان يعتبر المحور الشرقي هو أصعب المحاور لأنه استنفذ جزءاً كبيراً من قواتنا ، وهو أول منطقة ذهبت إليه قواتنا، ولما تمت محاصرة كتيبة سند في منطقة رأس العرقوب جاءت القوات والحملات المصرية تباعاً إلى المحور الشرقي الذي كان كما قلت أخطر المحاور في خارطة الصراع بين الملكيين والجمهورية ولأن المنطقة أيضا كانت مفتوحة على إمارة (بيحان) التيهي المكان الذي تصب فيه كافة الإمدادات التي تأتي للملكيين، سواءً من السعودية أو القوات المحتلة البريطانية الموجودة في عدن.

ومما أتذكره أنني التقيت بالشيخ ناجي بن علي الغادر وقلت له لماذا لا تستضيفني كصحفي واستضافني يومين في معسكره، المهم أن هذه المباحثات لم تنجح في إقرار السلام في المنطقة الشرقية.. والمحور الشمالي من صعدة حتى جحانة، كان أيضاً محوراً هاماً، لأن هذا المحور كان يقع على حدود نجران، أما المحور الجنوبي الشمالي كان هادئا نوعا ما في معظمه، ولم تكن هناك معارك كثيرة، لكن كان الأهم في جنوب الجنوب من الوطن أن عملية هامة جدا كانت تجري على الأرض، هي عملية صلاح الدين التي كانت تستهدف تحرير عدن..

● ماذا عن القيادات العسكرية في المحور الشرقي؟

– كان هناك واحد من أهم القيادات العسكرية المصرية وكان قائد الفرقة الرابعة المدرعة والذي كان من المفترض أن يدخل إسرائيل (إبان الاستعدادات العربية المصرية للحرب في إسرائيل)، وكان اسمه عثمان نصار.، وأتذكر أنني زرته في منطقة (العرقوب) ، وما لاحظته أن عثمان نصار لم يستطع أن يحسم المعركة لإنهاء الحصار المضروب على قواته في بئر الشيخ صالح في المحور الشرقي، وظلت المنطقة مقطوعة في جحانة (من رأس العرقوب حتى مأرب) ، فكان محور ملغوم بالمشاكل والمصاعب والتعقيدات، وكانت القبائل فيه متمترسة على القتال، لأنها كانت تعيش على الخطاط عندما لا تجد من تقاتله تقاتل بعضها البعض، وكل قبيلة تخطط لقتال قبيلة أخرى.. وفوق هذا كانت منطقة فقيرة وقاسية جداً وصعبة.. وكان في الشمال هدوء نوعا ما ، لكن مع وجود معارك في صعدة، وكان محور الحديدة هادئ نسبيا إلا فيما يتعلق بمنطقة حجة التي كانت حصينة من الطرقات، فكنا نركب من الحديدة إلى (عبس)، التي منها نصعد عبر سلسلة من الجبال إلى أن نصل إلى حجة.. ولم يكن بمقدور أي قوات تصل إلى حجة إلا على البغال ، وكما تعرف أنه في حجة تمركز البدر فترة طويلة بعد هروبه من صنعاء، وتمرده وعودته إلى حجة قبل أن يغادر البلاد نهائياً..

● وأنت تتابع وتغطي الأحداث والمعارك إلى جانب الجيش المصري، كيف لاحظت القوات المسلحة اليمنية؟

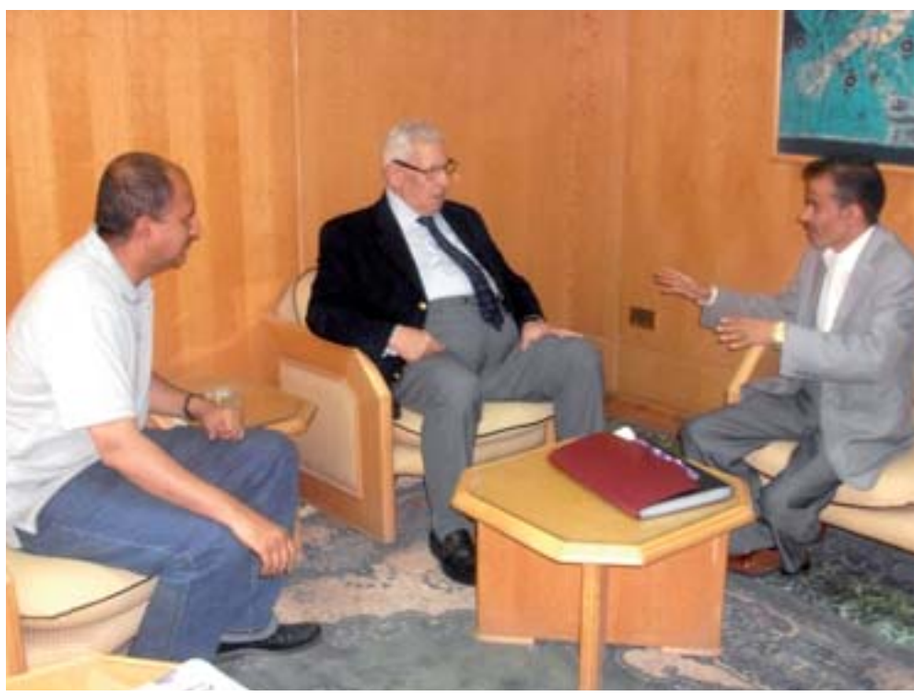

■ راسلت الأهرام في حرب اليمن ضد الملكيين وفي حرب التحرير وقبضت عليّ قوات الاحتلال البريطاني في عدن.

كانت القوات اليمنية لا تزال حديثة النشأة يشرف على إنشائها بل ويقوم ببنائها مجموعة من ضباط القوات المصرية، وكان فيها نجوم كثيرة والضباط اليمنيون الأحرار ، وأتذكر أن من أبرزهم حينها– إلى جانب من فجروا ثورة السادس والعشرين من سبتمبر – الشاب المحبوب من الجميع الذي صار رئيساً فيما بعد وهو إبراهيم الحمدي، وعلي عبدالله صالح أيضا كان في بداياته خلال هذه الفترة ومجموعة كبيرة من الضباط اليمنيين الذين كانوا يمثلون الروح الجديدة للقوات اليمنية الحديثة وقد أوردت أسماءهم في كتاب لي أصدرته عن حصار السبعين حيث حضرت هذه المعركة وحوصرت وظللت موجوداً في صنعاء إلى أن تم فك الحصار عليها، وحقق الجمهوريون انتصارهم النهائي على الملكيين ، وآخر عن حرب التحرير في جنوب اليمن.. ومن قبل ذلك لم يكن هناك قوات يمنية وإنما مجموعة كانت تابعة للإمام من القبائل والأفراد، ينطوون تحت ما يسمى بـ(العُكفة) وإنما جاء الجيش اليمني الحديث بعد الثورة ومجيء القوات المسلحة المصرية..

ضمانات عليا

● عوداً إلى حصار الملكيين لكتيبة سند المصرية في المحور الشرقي .. ما هي طلبات ناجي بن علي الغادر كممثل للملكيين ؟

– كانت طلبات الغادر أنه يريد ضمانات عليا من وجه جمال عبدالناصر ليفك الحصار ويتخلى عن الملكية ، لكن في الأساس كان من الواضح أن الغادر مخادع جداومراوغ رغم الوعود الكثيرة، فكان يعطي الكثير من الوعود لقائد المنطقة الشمالية أنه سيسلم نفسه، ولقائد المنطقة الشرقية.. فكان يلعب على هذين المحورين.

● من خلال استضافة الغادر لكم هل لاحظتم إنه كان مخلصا للحكم الملكي ضد الجمهوريين.. أم أنه يعمل لمصالح شخصية؟!

– في هذه الفترة تحول الوضع في اليمن إلى تكسب ومنافع ومصالح مادية ، سواء من الجانب المصري الذي يدعم الجمهوريين في الشمال وحرب التحرير في الجنوب ، أو من الجانب السعودي والبريطاني الذي كان يدعم الملكيين بقوة.. فكنت تجد القبيلة الواحدة جزءاً منها مجمهر وجزءاً آخر ملكيا، لتتم الاستفادة من الجانبين وأتذكر أنني عندما زرت معسكر ناجي بن علي الغادر بناءً على دعوته كانوا يقولون كان المحاربون التابعون له يلعبون لعبة اسمها (الأمشا) بجنيهات الملك جورج «الذهبية» فكان عندهم أموال كثيرة، وكان المصريون يعطون القبائل نقودا تسمى «ماريا تريزا»، وأتذكر أنني سافرت مع قيادات كثيرة، وضباط كانوا يحملون أكياسا وتعطى لشيوخ القبائل «فرانصي». فكانت الحرب وسيلة للتكسب من كثير من القبائل في تلك الفترة.. والغادر إلى جانب تشدده مع الملكيين وإلى جانب ما لاحظته من أموال ضمن هذا النسق القبلي اليمني..

سجن ومعاناة

● اختلفتم مع القيادة المصرية في صنعاء فما كان سبب الخلاف؟ ومن هو القائد العسكري ؟

– كان خلافي مع القيادة العسكرية المصرية في اليمن ممثلة بسيادة اللواء علي عبد الخير ، يتعلق بطبيعة عملي والمعطيات السياسية التي تجري، خصوصا أنه كان هناك خلاف أو أزمة ما بين القيادات اليمنية كالزبيري والنعمان والارياني من جهة وبين قيادات الجيش ممثلة بالسلال من جهة أخرى ، بخصوص سير أعمال القوات المصرية، وكان أحمد النعمان يعتقد أن الجيش المصري يطول في أمد الحرب بأكثر مما ينبغي، وكنت على علاقة قوية بالجبهة السياسية اليمنية المدنية والعسكرية ، وكانوا يتصورون أن علاقتي بالساسة اليمنيين، تتسبب في نقل معلومات إلى الأهرام عبر أنبوب المعلومات الرسمي الذي يذهب عبر مؤسساتهم، وكان يهمهم أن تتوحد المعلومات التي تذهب إلى مصر، فهم بذلك لم يكونوا مطمئنين لعلاقتي بالجبهة السياسية والمدنية، حيث كانت علاقتي بالأستاذ النعمان طيبة جداً وبالزبيري، والسلال، وبهذا كنت أعرف ما يدور في الكواليس السياسية لليمن وهم لا يريدون إلا أن يكونوا هم مصدر المعلومات التي تذهب إلى مصر، لأن الحرب اليمنية تثير أسئلة كثيرة داخل مصر، عن ماذا يجري في صنعاء وعن التضحيات المصرية من الجيش؟ وهل يمكن أن هذه الحرب تؤثر على القدرة العسكرية للجيش المصري، خاصة والأوضاع هذه الفترة كانت متوترة جداً.

حكم الإعدام

● قرأت في بعض الأدبيات أنكم تعرضتم لمعاملة قاسية من قائد القوات المصرية في اليمن وصلت تلك المضايقات حد السجن والأحكام الجائرة..ماذا عن اقصة حكم الإعدام بحقك؟!

– الذي حدث بهذا الخصوص هو أني كتبت خبراً صحفياً أو أخباراً متعددة حسب التهمة الموجهة إليَّ حيث قالوا لي أن هذه الأخبار غير صحيحة أو لم يكن هذا خبراً صحيحاً.. وبناء على هذه التهمة تم اعتقالي وإيداعي السجن الحربي بصنعاء تمهيداً للمحاكمة...

● هل تتذكر ماهو الخبر الأهم في دعواهم؟

– أتذكر أن الخبر كان يتعلق بانسحاب القوات المصرية من المحور الشمالي صعدة، تمهيداً لانسحاب القوات كلها من الجنوب، وحدث أنهم إتهموني بأني سربت أخبار إلى الأهرام، وأن هذه الأخبار أضرت بأمن القوات المصرية، ودعاوى كثيرة ، وأن عقوبة هذا الادعاء كان يمكن تصل إلى السجن(٢٥)سنة ، إضافة إلى عقوبة الأشغال الشاقة أو الإعدام ، والأغرب أنهم حجزوا عن القاهرة وعن الأهرام خبر إلقاء القبض عليَّ وخبر محاكمتي، ومنعوا كل الزملاء الصحفيين من إرسال الخبر إلى مصر، حتى تمكنت – بطريقة ما –من إيصال الخبر إلى الأهرام.. وكانت المسألة صعبة جداً فلولا تدخل عبدالناصر شخصياً ما أفرج عني وأرحل من صنعاء إلى القاهرة، بعد أن قضيت في السجن الحربي بصنعاء(١٣ أو١٤) يوماً تقريباً.

المحاكمة عسكرية

● ما الطريقة التي أوصلت من خلالها الخَبَر إلى